

أعراس الحشد الشعبي

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

بشّر نائب رئيس أركان هيئة الحشد الشعبي أبو علي البصري جماهير الشعب العراقي بأن عرضا عسكريا لقوات الحشد الشعبي سيقام في الثاني والعشرين من الشهر الجاري ستكون فيه أسلحة جديدة تعرض لأول مرة، منها طائرات مسيرة، وصواريخ جديدة، وتشارك فيه فصائل الحشد بوحدات من المشاة والمدفعية والدبابات والدفاع الجوي والطب والهندسة والتوجيه الأيديولوجي، وبان أبرز المدعوين لحضوره رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي بصفته القائد العام للقوات المسلحة.

والحاق بهذا الإعلان وقع فالح الفياض رئيس هيئة الحشد الشعبي فرمنا رئيسا هذا نصه: "نسبنا صرف (3000.000.000) ثلاثة مليارات دينار عراقي لتغطية نفقات إقامة الاستعراض العسكري لهيئة الحشد الشعبي بمناسبة الذكرى السابعة لتأسيسه". يعني أن الحشد الشعبي الذي سيقام عرسه العسكري الجديد يبرهن لنا على أنه دخل في أيام عصره الذهبي، هذه الأيام.

هذا يأتي في الوقت الذي أصدر فيه الكاظمي، بمناسبة مرور سبع سنوات على فتوى "الجهاد الكفائي" التي أصدرها السيستاني عام 2014 وتأسس بها الميليشيات بدر مزج فيه الهزل بالجد، كعادته، والطين بالطين فهو يأتي فيه على دور الفتوى في تحرير الأرض من داعش، ثم يحذر، في الوقت نفسه، تلميحاً وليس تصريحاً، من حرفها عن غايتها الأصلية، واستغلالها لأغراض مصلحية.

وربما يكون جادا في ضيقه من مخالفت فصائل الحشد، وتعالجها على قيادته، وإهانتها المتكررة للدولة بكامل رئاساتها الثلاث وحكومتها وبرلمانها وجيشها وشعبها، ولكنه يختبئ خلف المرجعية، ويحاول أن يحارب رفاقه في الولاء الإيراني بسيوف غير سيوفه العديدة المركونة على الرفوف العالية. تاريخيا تم تشكيل الحشد الشعبي في منتصف يونيو 2014، في أعقاب سقوط محافظة نينوى واحتلالها من قبل داعش، كقوة رديفة للجيش الوطني لتحرير الأرض، فقط لا غير.

بناء على كل المبررات

والمقدمات والنتائج صار ثابتا
وجليا أن الحشد الشعبي لم يعد
جيشا رديفا مساعدا للجيش
الرسمي العراقي، بل رقبيا
ومُسَيِّرا أقوى منه وأفضل منه
تسليحا وأكثر هيبة وهيمنة

وحيث أصدرت المرجعية فتواها التي دعت فيها القادرين على حمل السلاح إلى التطوع لمقاتلة داعش، سارع القتل قاسم سليماني إلى اغتنامها لدمج ميليشيات بدر وعصائب أهل الحق وكتائب حزب الله العراقي، مؤسساً بها حرسه الثوري الإيراني الجديد، ولكن بثوب عراقي ديني طائفي مستتر برداء المرجعية. ولا يُنكر أن كثيرين من المنطوعين من ذوي النوايا الوطنية النقية ساهموا في معارك التحرير، ولكن

جزءاً كبيراً من النصر على الدواعش صنعته الجيش العراقي واجهزة الأمن والشرطة والعشائر، وأميركا بطيرانها وصواريخها وأقمارها التجسسية وأموالها.

وبعد سنوات من التجاوزات والمخالفات والاعتقالات والاختلاسات التي سُجِّل أغلبها ضد فصائل من الحشد، وصَفها مقتدى الصدر بأنها وقحة، غصبت عليه المرجعية، بعد أن طُفح كيل باطله، ولكنها لم تفعل أكثر من أنها سحبت منه فصائلها المسلحة الأربعة، وأعادتها إلى إمرة القائد العام للقوات المسلحة. وكان المنتظر والمفروض والأكثر ضرورة وعدالة أن تامر بتسريح فصائلها تلك، وأن تُحول الحكومة بالتصرف بملفاتهما، وذلك من أجل أن تكفر عن ذنوبها، وأن تعزل بقايا فصائل الحشد، وتجزئها من الشرعية الدينية المذهبية التي يتمتع بها قادته الكبار، ويزعمون بأن المرجعية ما زالت تشملهم ببركاتهما.

وبناءً على كل هذه المبررات والمقدمات والنتائج صار ثابتا وجليا أن الحشد الشعبي لم يعد جيشا رديفا مساعدا للجيش الرسمي العراقي، بل رقبيا ومُسَيِّرا أقوى منه، وأفضل منه تسليحا، وأكثر هيبة وهيمنة، وأقل التزاما بالإنظمة المهنية العسكرية القرائية المتوارثة.

الم تستمعوا عباس موسوي المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية وهو يقول "إن حشدنا الشعبي بزعامة الفياض سيدمر القوات الأميركية دفاعا عن إيران".

ومع الزمن الرديء الطويل تشتلت الدولة العراقية، حكومة وشعبا، وبلغت حالة من الهوان والهزل إلى الحد الذي يخرج معه، على شاشات التلفزيون، واحد نكرة قادم من قارة الطريق، أمي جاهل لم يكمل دراسته الابتدائية



الكفائي الذي أطلقه السيستاني ليس مفتوحا، بل إن جوهر الفتوى وتصنيفها يضعان سقفا طبيعيا لنهايتها. فالفتوى مرتبطة بدفع خطر داعش، وإن انتهاء هذا الخطر يعني انقضاء الفتوى أيضاً.

وفي ذات المقال، طالب الكاظمي الدولة العراقية بـ"معالجة مرحلة ما بعد نهاية صلاحية فتوى السيستاني".

ولكنه حين أصبح هو الحكومة التي كان مطالبها بوضع النهاية لصلاحية فتوى السيستاني وحل الحشد الشعبي لم يفعل شيئا يذكر البتة. وإذا ما حضر الاستعراض العسكري الذي ستقيمته الفصائل الإيرانية (العراقية) فسوف يقطع آخر خطوط الأمل في أن يفعل شيئا ذا قيمة، وسيُضيفه الشعب العراقي إلى جانب المالكي والجعفري والعبادي وعبدالمهدي على لأحثة المطلوبين للعدالة، وما نحن في الانتظار.

وحيث تعود إلى التاريخ الأسود الذي لم ترض عليه قرون سوف نجد أن الإيرانيين وكلاءهم العراقيين، أحزابا ومتمظمات وميليشيات، كانوا، عملا وقولا، وسلاحا ومالا، جزءاً من قوات الغزو الأميركي - البريطاني للعراق، ودليلاً ومرشداً للجيش الغازية ليس، فقط على كل وطني حقيقي حمل السلاح وقاوم الغزو، بل على كل خصم لإيران الخميني، عقائدياً أو سياسياً أو ثقافياً أو اقتصادياً، حتى لو كان مدنياً مسلماً لم يحمل سلاحاً في حياته قط.

أي أنهم استغلوا الجيوش الأميركية الجاهلة بحقيقة التعقيدات السياسية والمذهبية والعنصرية العراقية، واستخدموها أداة للقتل بخصوصهم، تمهيدا لظلال وحدهم الاحتلال الأميركي بعد رحيلها المحتوم. والكاظمي نفسه، في مارس 2015، نشر مقالاً أكد فيه أن "مفهوم الجهاد

لينوب عن رئاسة الجمهورية والوزارة والبرلمان والجيش والشعب معاً، ويعلم الحرب على قوات أجنبية موجودة باتفاقات حكومية موقفة، كان رؤساء حكومات سابقون من رفاق هذا المتطفل قد التمسوا بقاءها وعونها.

فقد أعلن قائد ميليشيا عصائب أهل الحق المدعو قيس الخزعلي أن "الحركة ستواصل العمل العسكري ضد الجيش الأميركي المنتشر في العراق، مشيراً إلى أن قرار مهاجمة القواعد الأميركية قد تم اتخاذه بالفعل من قبل قيادة الحركة".

ثم أعلن أن "العمليات العسكرية ضد القواعد الأميركية لن تتوقف أبداً إلا بخروج الجيش الأميركي من البلاد". ف"الجميع أعد نفسه لكافة التحديات والاحتمالات، ولا يتصورون أننا نخاف من التهديد" وإذا كان هناك رد فإن الرد على الرد جاهز". وأن "قرار التصعيد ضد القوات الأميركية في العراق تم اتخاذه".

من أين يأتي عنف المراهقين في فرنسا؟



ظاهرة العنف بين المراهقين في فرنسا لها أساس ثقافي - سيكولوجي لا علاقة له بالعنصرية أو الإسلاموفوبيا أو التمييز، وهو التفسير الذي ضلل الحكومة الفرنسية وجعلها عاجزة عن التصدي للعنف المتزايد

الأجنبية الآتية من أفريقيا ومن البلدان المغاربية وكوسوفو والبانيا والججر بصفة عامة. ثقافات يقول إنها تقبل عدم المساواة بين الرجل والمرأة وكثيرا ما يضرب الزوج زوجته أمام مرأى ومسمع أبنائه الصغار. 69 في المئة من المراهقين العنيفين تعرضوا لمشاهد عنف منزلي خلال العامين الأولين من حياتهم. وحملوا في داخلهم تلك الصورة العنيفة للاب، والتي سرعان ما تطفو على السطح كلما تم لمسهم دون قصد. حتى الأمهات أنفسهن عشن في كثير من الأحيان طفولة كارثية لدرجة أصبح معها غير قادرات على الابتسام لأطفالهن والتحدث إليهم وفهم متى ينبغي طماننتهم من خلال العناق ومن هنا لا يطورون أي قدرة على التحكم بردود أفعالهم وما يتجزأ عنها، ويكونون غير قادرين على التعاطف مع ضحاياهم. ولا يطور لديهم مفهوم السببية ويصبحون شديد الحساسية تجاه أي شيء غير متوقع كما لا يطور لديهم أي فضول حول الآخرين أو حول حتى أنفسهم. ويهابون الاختلاف عن مجموعتهم الإثنية أو الدينية. هم غير قادرين على استعمال الكلمات وعاجزين عن التفكير

الاعتداء الأول الذي يقوم به المراهق، والذي كثيرا ما يعاقب بالسجن غير النافذ مدة قصيرة يدعى أنه قاصر ودون سوابق. وهكذا فتفتح له الطريق ليعيد الاعتداء مرة أخرى، بل مرات، وهو ما يعكس العلاقة منذ سنوات بين قوى الأمن والقضاء في فرنسا. داب الإعلام الفرنسي وأغلبية السياسيين، اليسار بصفة خاصة، على تفسير ظاهرة عنف المراهقين الوحشي بردها إلى عيش هؤلاء المراهقين في ضواحي المدن الكبرى، في أحياء فقيرة مهتمشة وبسبب ما يعانونه من تمييز. فما مدى صحة ذلك؟

في كتابه "عن العنف المجاني في فرنسا.. مراهقون مفروطون في العنف، شهادات وتحليل"، يدحض موريس بيرجي هذا الاعتقاد ويقدم مقاربة جديدة مخالفة للجهود تكثف عما يدور في أذهان ولاوعي هؤلاء الذين سكنهم العنف الوحشي. مقاربتة بنيت على تجربته مع عينة من هؤلاء المراهقين كطبيب مشرف على حالات محددة منهم. وهي رؤية بعيدة كل البعد عن الخطابات الإعلامية الآني والعقد النفسية، وهذا هو التوحش عينه.

من العوامل الكثيرة التي ساهمت في تفشي الظاهرة سلبية القضاء تجاه

عصابات شباب سنة 2020 بزيادة 25 في المئة عن عام 2019، وهذا دون الأخذ في الاعتبار المواجهات والشجارات العنيفة غير المسلحة والتي أصبحت ظاهرة يومية في أحياء الضواحي وحتى في وسط بعض المدن.

تقول الدراسات إن الأطفال من عائلات فرنسية أو أوروبية يمثلون أقل من عشرين في المئة من الحالات التي يتم تسجيلها.

وفي أغلب الأحيان هو عنف مجاني، بمعنى الكلمة جسدية بلا سبب ظاهر. كل مواطن معرض اليوم للموت بسبب نظرة عادية لم تعجب أحدهم، أو رفض إعطاء سجارة لأخر.

فمن هم هؤلاء الشبان؟ وهل لعنفهم المجاني علاقة بسكنهم في غيتوهات الضواحي الفقيرة؟

لم تعد الكلمة مجدية في أي خلاف مهما كان تافها، وتعوض غالبا باستعمال المديّة وعصا البيسبول، وقد يصل الأمر لاستعمال السلاح الناري. إذ يصبح الاندفاع سيد الموقف، والأخر مجرد كائن يمكن أن يفرغ فيه التوتّر الآني والعقد النفسية، وهذا هو التوحش عينه.

من العوامل الكثيرة التي ساهمت في تفشي الظاهرة سلبية القضاء تجاه

حميد زناز
كاتب جزائري

ازدادت حوادث العنف بين المراهقين في فرنسا وادى الأمر إلى سقوط الكثير من الأرواح في شوارع مدن عديدة، حيث يتم تقديم شكوى كل دقيقتين في مركز شرطة بسبب عنف في الشارع وكل مواطن معرض للاعتداء في كل وقت.

يوري، 15 سنة، تعرض للضرب الوحشي في باريس من طرف مجموعة مراهقين وقد نجا باجوبة بعد أيام من الغيبوبة والإنعاش في المستشفى. البشا المراهقة قتلت وهي لم تتجاوز 14 سنة ورميت في نهر السين من طرف زميل وزميلة لها في القسم. ماتوا، 17 سنة، قتل بالسلاح الأبيض في شاميني سور مارن. في يوم 14 يونيو الماضي لقي شاب يبلغ من العمر 16 سنة حتفه في مدينة روان في قتال بين عصابتين من حين متنازعين منذ سنوات، شارك فيه أكثر من 50 مراهقا.

تلك عينة من اعتداءات دامية لا تنتهي بين عصابات من المراهقين تخلف ضحايا كل يوم. وحسب وزارة الداخلية الفرنسية تم إحصاء 357 مواجهة بين



العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk